الأفعال الكلامية في سورة (طه)

د.سند محمد عبد القوي
أستاذ علم اللغة المشارك بكلية التربية يافع جامعة عدن
smass1972@hotmail.com

الملخص بالعربية:

تناول البحث الأفعال الكلامية في سورة طه مستفيدًا من المنهج التداولي في ضوء نظرية الأفعال الكلامية عند علماء التداولية الغرب (أوستن و سيرل)، وقد حاول الباحث الكشف عن الأفعال الكلامية من: (تقريريات، توجيهيات، التزاميات، تعبيريات، وإعلانيات)، ثم عرض دراسة تطبيقية لآيات من هذه القصة مبينًا المحتوى القضوي للفعل الكلامي، وقوته الإنجازية والقوة التأثيرية له، مشيرًا للفعل الكلامي المباشر وغير المباشر.

Abstract

This study dealt with the speech acts in the story of Moses contained in Surat Taha, taking advantage of the Pragmatic Approach in the light of the theory of Speech Acts according to Western pragmatics scholars (Austin and Searle).The researcher tried to discover many types of speech acts: (declarative, imperative, obligatory, expressive and announcement acts). Then he presented an applied study of verses from this story, indicating the prosodic content of the speech act, its executing power and its fulfilment purpose, referring to the direct and indirect speech act.

مقدمة:

سورة طه مكية بإجماع العلماء ما عدا آية أو آيتين فقط مدنية، وقد تناولت قصة موسى، وهي القصة الأكثر ورودًا من قصص الأنبياء، فقد جاء ذكرها في كتاب الله تعالى في ثلاثين موضعًا جلّه في هذه السورة إذ جاءت في (106) آية.

وقد اشتملت هذه السورة على مقدمة فيها بيان مهمة القرآن وصفات منزله الله تعالى، وخاتمة تناولت وصايا الختام، بينهما ذكر قصة موسى وقصة آدم، وكانت معظم السورة تتحدث عن قصة موسى، إذ تناولت هذه السورة قصة موسى التي تجلَّت فيها دعوة فرعون وقومه إلى عبادة الله وحده، وما دار من أحداث أثناء ذلك قبلها وبعدها، مع أهله ومع الله تعالى ومع السحرة، ومع موسى وهارون.

أهمية الدراسة:

تتجلَّى أهمية الدراسة من حضور الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني في سورة طه، و تنوع أساليب إبلاغ الدعوة في هذه السورة بين المباشرة وغير المباشرة، كما تنوعت بين الخبرية ومؤاكداتها والإنشائية وأساليبها المتعددة والمتنوعة كالاستفهام والأمر والنهي والنداء... وهذه الأساليب ذات طبيعة إنجازية، فهي تهدف إلى تغيير الواقع والتأثير فيه.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يستند أساسًا على آليات المنهج التداولي؛ لتوضيح الأفعال الكلامية الواردة؛ لأن الدراسة قائمة على البحث في سياقات الخطاب ومقاصد المتكلم.

هدف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الأفعال الكلامية في هذه السورة في ضوء نظرية الأفعال الكلامية لأوستن وسيرل، وتناولت القوة الإنجازية للأفعال الكلامية.

واقتضت تقسيم البحث إلى مبحثين يسبقهما تمهيد، ويتلوهما أهم النتائج وقائمة المصادر والمراجع، تناول التمهيد نظرية أفعال الكلام عند أوستن وسيرل، والمبحثان هما:

المبحث الأول: دراسة الأفعال الكلامية الخبرية والإنشائية بحسب تصنيف سيرل إلى: (تقريريات، توجيهيات التزاميات، تعبيريات، وإعلانيات).

المبحث الآخر: دراسة- تطبيقية لآيات من هذه السورة مبينًا - المحتوى القضوي للفعل الكلامي، وقوته الإنجازية والقوة التاثيرية، مع الإشارة للفعل الكلامي المباشر وغير المباشر.

تمهيد:

نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن وسيرل:

لهذه النظرية موقع متميز في المنهج التداولي، وقد كان ظهورها في عام ١٩٦٢م، على يد مؤسسها العالم اللغوي جون أوستن، في كتابه المشهور كيف ننجز الأشياء بالكلام.

وفيه تناول أوستن مسألة مهمة، وهي أنّ " قول شيء ما على وجه مخصوص هو إنجازه[1]". ومن هنا اشتقت نظرية الأفعال الكلامية، فأقوالنا في الحقيقة تعد أفعالًا كلامية.

لقد ميز أوستن في المراحل الأولى من تطور نظريته بين نوعين من الأقوال، هما[2]:

الأقوال الوصفية:

وتسمى بالأقوال التقريرية، وهي الأقوال التي تصف حالة الأشياء في الكون قبل التلفظ بها، لوجودها في العالم الخارجي قبل التلفظ. وتضاهي ما أسماه العلماء العرب بالأساليب الخبرية.

الأقوال الإنجازية:

وتسمى الأقوال الأدائية، وهي الأقوال التي لا تصف ولا تخبر، ولا تخضع لمعيار التصويب، وشرطها هو ملاءمتها للواقع (الإنجاز الحقيقي).

ومن أمثلة العبارات الوصفية التي تصف إحساسات، مثل: أعتذر، أو إني متأسف ... أما العبارات الإنجازية: أدعم رأيي، أو أتنبأ، أو أتوقع. وهي تشابه ما أسماه العلماء العرب بالأساليب الإنشائية.

ويرى أوستن أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد لا ينفصل أحدها عن الآخر، وهي:

1- فعل الكلام (فعل القول): هو الفعل الذي ننجزه بمجرد تلفظنا لبعض الكلمات صوت وتركيب ودلالة)[3].

2- الفعل الإنجازي (قوة فعل الكلام، الفعل الذي يتضمنه القول): وهو الفعل الذي ننجزه بالقول كالسؤال، أو الأمر، أو التحذير، أو الوعد ... [4].

3- الفعل التأثيري (لازم فعل الكلام) : وهو الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي في المستمع، كأن تجعل مستمعك يقتنع بشيء ما، أو تجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء ... ، ويستلزم الفعل الإنجازي والفعل التأثيري الاتفاق معًا[1].

---

[1]- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 1991م، 100.

[2]- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، 100.

[3]- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، 116.

[4]- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، 120، و ينظر: سيرفوني، الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب،1998، 97.

وقسَّم (أوستين) الأفعال الإنجازية على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أقسام[2]:

1- الحكميات: وتتمثل في الحكم، نحو: التبرئة، أو الإدانة، أو الفهم، أو إصدار أمر، او الإحصاء، أو التوقع، أو التصنيف ، أو التشخيص، أو الوصف ...

2- التنفيذيات: وتقضي بمتابعة أعمال، نحو: الطرد، أو العزل، أو التسمية، أو الاتهام، أو الاستقالة، أو التوسل ... وتندرج التنفيذيات ضمن الصنف الأول فهي أعمال تنفيذ أحكام، ولكنها ليست في حد ذاتها حكميات.

3- الوعديات: وتسمى كذلك الإلزاميات أو أفعال التكليف؛ لأنّها تلزم المتكلم بإنجاز فعل معين، مثل: الوعد، أو الموافقة، أو التعاقد، أو العزم، أو النية ...

4- السلوكيات: والهدف منها هو إبداء سلوك معين يتفاعل مع أفعال الغير، مثل: الشكر والاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم والتحدي.

5- العرضيات: وتسمى كذلك (التفسيريات) الهدف منها الحجاج والنقاش والتبرير، وتختص بعرض مفاهيم منفصلة، مثل: التأكيد، النفي، الوصف، الإصلاح ...[3]

تصنيف (سيرل) للأفعال الكلامية:

لقد اقترح (سيرل) تقسيمًا آخر للأفعال الكلامية، فميز بين أربعة أقسام، هي:

1-فعل التَّلفُظ (الصوتي، التركيبي): وهو الفعل المتحقق في اللفظ.

2-الفعل القضوي: الإحالي والحملي: أفعال قضوية دلالية.

3-الفعل الإنجازي: (الفعل القصدي) وهو أن تحقق فعلًا إنجازيًّا، كالإخبار، السؤال، الأمر، التمني ...).

4-الفعل التأثيري: وهو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي، فكل عبارة تخلَّف نتائجَ معينة.

وبنى تصنيفه للأفعال اللغوية وفق ثلاثة أسس منهجية، هي:

الأساس الأول - الغرض الإنجازي: وقد رأى سيرل أن المتكلم يمتلك إمكانات متعددة للتعبير عن مقاصده، حددها في ثلاثة مقاصد، هي:

١- أن يتلفظ المتكلم بجملة، وهو يقصد ما تعنيه فعليًّا وحرفيًّا.

٢- أن بتلفظ بالجملة، وهو يعني ما يقوله إضافة إلى أشياء أخرى، مثل: أن يقول ابن لأبيه: أريد منك عمل ذلك. فهذا الملفوظ يحمل دلالة صريحة، هي إثبات الإرادة غير مقصودة، ودلالة ضمنية مقصودة، هي الالتماس.

---

[1]- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، 121، و ينظر: رحيمة شيتر، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه في علوم الأدب، جامعة باتنة، 2008- 2009، 150.

[2]-عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد،155.

[3]- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش،مركز إنماء القومي، المغرب، د. ت، 12.

٣- أن يتلفظ المتكلم بجملة، وهو يقصد ما يقوله، ولكنه يقصد -أيضًا- معنى آخر له محتوى قضوي مختلف تمامًا، مثل: هل يمكنك أن تناولني الملح؟ فهذا الملفوظ له دلالتان: صريحة، هي الاستفهام، وضمنية، هي الطلب.

الأساس الثاني- اتجاه المطابقة: ويتعلق بصدق المقاصد وأن يكون القول مطابقًا الواقع، فلا ينبغي للمتكلم أن يقول ما يناقض معتقداته ورغباته.

الأساس الثالث- الإخلاص: وهذا شرط مهم عنده، فمثلًا: لا يقول المتكلم إلا ما يعتقد صحته: الوفاء بالعهد، السؤال للعلم، أي إن يكون المتكلم جادًّا في كلامه، وقاصدًا إلى تحقيق الإنجاز.

وصنف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف، هي: (التأكيدات، والتوجيهيات، والالتزاميات، والتعبيريات، والتصريحيات) [1].

الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة:

فرق (سيرل) بين الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة[2]، وقد وضع مقاييس لنجاح الفعل الإنجازي منها؛ غاية القول ، وتوجيهه ، وحالته السيكولوجية ... [3] وسماها شروط النجاح، ويستند فيها إلى قوانين المحادثة ل (غرايس)، ثم يرى أنّ الأفعال المباشرة، هي: (التي يكون معناها مطابقًا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة والدالة على قصده بنص الخطاب)[4].

فيكون فهم معناها عند النطق بها مباشرة، نحو، قولنا في الاستفهام: هل تناولت الفطور؟

أمّا بالنسبة للأفعال الكلامية غير المباشرة، فقد (يرمي المتكلم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي؛ مثلما هو الشأن في التلميحيات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى ...) [5].

فلا يفهم معناها مباشرة عند النطق بها من قبل المتكلم، بل تدل على معنى لا تدل عليها ألفاظها، نحو قولنا: هل لك أن تساعدني في العمل، فالمراد هنا ليس الاستفهام، بل طلب المساعدة.

وما جاء به سيرل عن الكلام المباشر وغير المباشر، يساوي عند البلاغيين العرب، الأساليب الإنشائية، وخروجها من معانيها إلى معان بلاغية أخرى.

---

[1]- وقد تترجم التقريريات إلى الحكميات، والبوحيات إلى السلوكيات، والإيقاعات إلى التبيينات، ينظر: جاك موشلر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين المجذوب، مراجعة خالد ميلاد تونس المركز الوطني للترجمة دار سناتر، 2010م. 66،67.

[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002م، 51.

[3]- ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، 63.

[4]- ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، 137.

[5]- ينظر: فيليب بلاشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، 68.

مظاهر الأفعال الكلامية في سورة طه

المبحث الأول

الأفعال الكلامية - خبرية وإنشائية- بحسب تصنيف سيرل

سنحاول في هذا البحث الكشف عن الأفعال الكلامية بحسب تصنيف سيرل لها، وذلك عن طريق الآيات التي تتحدث عن قصة موسى في سورة طه، رأينا أن نتخذ منها نموذجًا للتحليل والدراسة؛ لنبين الدور الإبلاغي والتأثيري في كتاب الله تعالى على المتلقي، وقد عمدنا إلى الاقتصار على مجموعة من الآيات القرآنية في هذه السورة؛ لأننا لا نريد إثبات الكم، وإنما مقصدنا الكشف عن كيفية أثر هذه الأفعال. وسنتتبعها بالاعتماد على تصنيف سيرل لها إلى خمسة أصناف، هي:

أولًا- الإخباريات Assertifs (التقريريات التأكيدات):

هي الأفعال الكلامية التي تصف واقعة معينة لقضية ما، ويشترط فيها النقل الأمين للواقعة، والتعبير الصادق عنها، وتحتمل الصدق وعدمه، وتهدف إلى جعل الكلمات تطابق الواقع، وغرضها الإنجازي الوصف[1].

وقد وردت الإخباريات في قصة موسى في هذه السورة جامعة بين التقرير والوصف، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي، إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه:9-15].

بالنظر إلى الآيات السابقة تتجلى السمة الإخبارية في الأسلوب الإخباري الوصفي التي ابتدأت به هذه القصة، فالاستفهام الذي ابتدأت به الآية بالحرف (هل) هو استفهام يفيد التقرير والتأكيد، فهو يخبر بالوصف عن حال موسى وأهله بعد عودتهم من مدين، وهم في الطريق عائدون إذ يرى موسى نارًا، فيذهب إليها لعله يجد حاجته من الدفء أو الهدى، وعند وصوله يقع الخطاب الرباني من الله لموسى، مخبرًا عن اختيار موسى للنبوة من بين بني إسرائيل وحظوته بحب الله تعالى، ويخبر الله تعالى معرِّفًا نفسه أنَّه هو الله، وإنَّه لا إله موجود غيره ولهذا وجب عبادته، ويخبر عن الساعة وقيامها، لكن لا علم لأحد بموعدها وأن الغاية من ذلك هو ليجزى كل إنسان بعمله.

وقد جاءت الأساليب الخبرية بجمل اسمية دالة على الثبات مؤكدة بـ (إنّ) وبالضمير المنفصل (أنا) كما في قوله تعالى: ﴿إنني أنا الله....﴾ جاء الإخبار من الله تعالى لتنبيه موسى مؤكدًا

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 49 ، و ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، 123.

ب(إنَّ) وبالضمير المنفصل (أنا)؛ لدفع أي شك من قبل نبيه. وقع الإخبار عن ضمير المتكلم باسمه العلم الدال على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد. وذلك أول ما يجب علمه من شؤون الإلهية، وهو أن يعلم الاسم الذي جعله الله علمًا عليه؛ لأنَّ ذلك هو الأصل لجميع ما سيخاطب به من الأحكام المبلغة عن ربّهم. وفي هذا إشارة إلى أنَّ أولَ ما يتعارف به المتلاقون أن يُعرِّفوا أسماءهم، فأشار الله إلى أنَّه عالم باسم كليمه وعلَّم كليمه اسمه، وهو الله[1].

والمقصود منه حصول العلم لموسى بوحدانية الله تعالى، ثم فرَّع على ذلك الأمر بعبادته. والعبادة تجمع معنى العمل الدال على التعظيم من قول وفعل وإخلاص بالقلب. ووجه التفريع أن انفراده تعالى بالإلهية يقتضي استحقاقه أن يعبد.

وخصَّ من العبادات بالذكر إقامة الصلاة؛ لأنَّ الصلاة تجمع أحوال العبادة. وإقامة الصلاة: إدامتها، أي عدم الغفلة عنها[2]. وفي هذه الآية تأكيد وإقرار بانفراد الخالق العظيم بوحدانيته، واستحقاقه العبادة وحده دون أي أحد غيره، فمقصد الخطاب هنا الرد على المشركين الذين اتخذوا غير الله للعبادة.

ومن الإخبار جواب موسى لله تعالى وإخباره عن العصا، في قوله تعالى:﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه : 18]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى، وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى، إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ [طه : 36-38].

والإخبار عن أخته ومراقبتها له بعد قذفه في التابوت والمنن التي من الله عليه بها، في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه : 40].

ثانيًا- التوجيهيات Directifs (الأمريات، الطلبيات):

هي الأفعال التي يحاول بواسطتها المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، وهدفها جعل العالم يطابق الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة، وكل توجيه يعبر عن رغبة يقوم بها المستمع بتوجيه فعل معين، وهي لا تحتمل الصدق أو الكذب، لكن يمكن أن تطاع أو تهمل أو يخضع لها أو يستنكر، ويدخل فيها التوجيه والنصح والاستعطاف والتشجيع[3]. وقد تنوعت التوجيهات في السورة، منها:

---

[1] - ينظر: ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد): التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط ،1، 1420هـ/2000م، 199/16.

[2] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 200/16.

[3] - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 49. وينظر: جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006م، 218.

الأمر:

جاء التوجيه بالأمريات في المرتبة الأولى في سياق الآيات، ولعل ذلك يتناسب مع ما ترمي إليه السورة من توجيه لغرض الدعوة وتبليغها، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه : 10]، خطاب موسى لأهله امكثوا، الطلب في الإقامة والبقاء؛ للرجاء بحصول الفائدة من النار بالدفء أو الاهتداء بها.

وتوجيه الله تعالى لموسى بخلع النعلين، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه : 12]، يلحظ في الآية تغير مقصد الخطاب القرآني إلى مخاطبة الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام، وإكرام الله له، وبيان طهارة المكان الذي يخاطبه فيه.

وفي قوله تعالى:﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه : 13]، في قوله تعالى(فاستمع) أمر من الله تعالى بالاستماع، وهو الغرض من اختيار موسى للوحي الذي سيلقى عليه، وقد جاء الأمر بصيغة افتعل للدلالة على التكلف في الاستماع لأهمية ما سيلقى، فالأمر يتطلب ترك أي أمر قد ينشغل به موسى، والإنصات والإصغاء.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه : 14]، في قوله تعالى: فاعبدني وأقم الصلاة لذكري، يوجه الله تعالى نبيه موسى إلى عبادته دون غيره والتعهد بإقامة الصلاة.

وفي قوله تعالى:﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه : 19-20]، يتضح من الأمر في قوله تعالى: ألقها... فإذا هي حية تسعى أن السؤال كان ذريعة إلى غرض سيأتي، وهو القرينة على أن الاستفهام في قوله وما تلك بيمينك مستعمل في التنبيه إلى أهمية المسؤول عنه [1]. وقد علم تعالى في الأزل ما هي وإنما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وجل في هذه العصا [2].

بعد أن ألقى موسى العصا أمره الله تعالى بأخذها، بقوله تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ، وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه:21- 22]، أمْر من الله تعالى لموسى؛ ليظهر له المعجزات التي سيذهب بها إلى فرعون، فالضم: الإلصاق، أي ألصق يدك اليمنى التي كنت ممسكًا بها العصا [3].

وقد أظهر الله لموسى الآيتين ليؤكد بذلك أنه مؤيد من الله تعالى، بعدها أمره الله بالأمر العظيم الذي من شأنه أن يدخل الروع في نفس المأمور به وهو مواجهة أعظم ملوك الأرض يومئذ بالموعظة ومكاشفته بفساد حاله[4]. وهو التكليف بالدعوة في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى

---

[1] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 207/16.

[2] - ينظر: أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف) : البحر المحيط ، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض . شارك في تح: زكريا عبدالمجيد النوتي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413ه- 1993م، 321/7 .

[3] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 208/16.

[4] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 209/16.

فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: 24]، بيان التكليف بالدعوة وهي الأساس في هذه القصة، خطاب من الله تعالى لموسى بالذهاب إلى فرعون لمجاوزته الحد في الطغيان والظلم. ولمَّا علم موسى ذلك لم يبادر بالمراجعة في الخوف من ظلم فرعون، بل تلقَّى الأمر وسأل الله الإعانة عليه، بما يؤول إلى رباطة جأشه وخلق الأسباب التي تعينه على تبليغه، وإعطائه فصاحة القول للإسراع بالإقناع بالحجة[1]. فتغيرت صيغة الخطاب من موسى إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي [طه : 25] وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي ، وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي ، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه : 25-32].

يخاطب موسى ربَّه ويطلب منه العون على الدعوة، ويتضح هذا عن طريق الأمر الصريح لإفادة الطلب ابتداء بشرح الصدر وانتهاء بإشراك هارون أخيه في أمره معللًا كل ذلك لزيادة تسبيح الله وذكره. وسأل سلامة آلة التبليغ وهو اللسان للحبسة التي كانت فيها، ليُفهَم كلامه [2] وتقدم المجرور على متعلقه في: (اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَل لِّي وَزِيراً) ليحصل الإجمال ثم التفصيل فيفيد مفاد التأكيد من أجل تكرر الإسناد. ولم يأت بذلك مع قوله واحلل عقدة من لساني؛ لأن ذلك سؤال يرجع إلى تبليغ رسالة الله إلى فرعون، فليست فائدتها راجعة إليه حتى يأتي لها بلام التبيين. وخص هارون لفرط ثقته به ولأنه كان فصيح اللسان مقوالًا، فكونه من أهله مظنة النصح له، وكونه أخاه أقوى في المناصحة، وكونه الأخ الخاص لأنه معلوم عنده بأصالة الرأي، وإضافة (أمر) إلى ضمير المتكلم لإفادة مزيد اختصاصه به وهو أمر الرسالة. [3].

حقق الله تعالى ما طلبه موسى، ثم أمره وأخاه بالذهاب إلى فرعون في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي، اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه :42- 44] ، جاء الأمر في الأفعال: اذهب، اذهبا، فقولا، وفيها توجيه الدعوة إلى فرعون للإيمان، وترغيبه إلى طاعة الله وعدم الكفر به.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه : 47]، يتضح من سياقات الآيات السابقة الأفعال الأمرية: فقولا، فأرسل، والغرض منها إرسال بني إسرائيل وعدم تعذيبهم.

الاستفهام:

جاء الاستفهام في سياق الآيات بمرتبة تالية للأمريات، ومن الآيات التي جاء فيها الاستفهام، قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه : 9]، والاستفهام هنا مستعمل في التشويق إلى

[1] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 210/16.
[2] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 211/16.
[3] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 16/ 211، 212.

الخبر مجازًا وليس حقيقة، وآثر الاستفهام بالحرف (هل) في هذا المقام لما فيه من معنى التحقيق، فهي في الاستفهام مثل (قد) في الإخبار[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه : 17]، استفهام تقرير مضمنه التنبيه، وجمع النفس لما يورد عليها، وقد علم تعالى في الأزل ما هي وإنما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وجل في العصا اليابسة [2].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه: 40]، الاستفهام في هل أدلكم للعرض. وأرادت بـ من يكفله أمه. فلذلك قال فرجعناك إلى أمك. وهذه مِنَّة عليه لإكمال نمائه، وعلى أمِّه بنجاته فلم تفارق ابنها إلا ساعات قلائل [3].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى، قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه:49،51]، يتغير الخطاب الرباني بطريقة الحوار بين موسى وأخيه لفرعون معلنين له أنهما قد أتيا بآيات من الله، وأن العذاب على من كذب كما يتضح من قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: 47-48]، فيأتي الرد من فرعون عن طريق الاستفهام المتشعب في الآيتين [49،51].

ويستمر الخطاب الرباني بين موسى وفرعون عن طريق إجابة موسى بالأساليب التقريرية في بيان من هو رب موسى، وحال الأمم السابقة، وماهية الأرض والسماء وحقيقتهما.

ثم أتى بالاستفهام الإنكاري على لسان فرعون في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه : 57]، والاستفهام في أجئتنا إنكاري من المتكلم فرعون إلى موسى عليه السلام، ولذلك فرع عليه القسم على أن يأتيه بسحر مثله، والقسم من أساليب إظهار الغضب. وقصد فرعون من مقابلة عمل موسى بمثله أن يزيل ما يخالج نفوس الناس من تصديق موسى وكونه على الحق، لعل ذلك يفضي بهم إلى الثورة على فرعون وإزالته من ملك مصر [4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه : 83]، استعمل الاستفهام للإنكار ويتضمن كما في الكشف إنكار السبب الحامل لوجود مانع في البين وهو إيهام إغفال القوم

[1] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 193/16.
[2] - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، 321/7.
[3] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 219/16.
[4] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 245/16.

وعدم الاعتداد بهم مع كونه عليه السلام مأمورًا باستصحابهم وإحضارهم معه وإنكار أصل الفعل لأن العجلة نقيصة في نفسها فكيف من أولي العزم اللائق بهم مزيد الحزم[1].

النهي:

جاء النهي موجهًا للصد عن الإيمان، في قوله تعالى: ﴿فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه : 16] ، في هذه الآية نهى الله تعالى نبيه موسى ومَن جاء بعده من الصد عن الإيمان بالساعة من قبل من لا يؤمن بها، وهذه مبالغة في نهي موسى عن أدنى شيء يحول بينه وبين الإيمان بالساعة، أي لا تكن لين الشكيمة لمن يصدك ولا تصغ إليه فيكون لينك له مجرئا إياه على أن يصدك، فوقع النهي عن المسبب. والمراد النهي عن السبب، وهذا الأسلوب من قبيل قولهم: لا أعرفنك تفعل كذا ولا أرينك هاهنا[2].

وعن الخوف في قوله تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى [طه: 21]،﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه : 46]، ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: 68]، وعن الونى والضعف في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: 42]، والنهي عن تعذيب بني إسرائيل، في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى [طه : 47]، والنهي عن الطغيان في قوله تعالى: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه : 81] .

النداء:

جاء التوجيه بالنداء من الله تعالى لموسى في عدة آيات منها، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 11-12]، خطاب من الله تعالى لموسى المبدوء بالنداء والطمأنة له وأن من يناديه هو الله، ويأمره بعد النداء بالاستماع لما سيلقى عليه من تكليف، وهو عبادته وأداء فريضة الصلاة، وفيه إكرام من الله تعالى لموسى عليه السلام؛ لحظوته في مناداة الخالق من غير واسطة. وقد بُني فعل النداء للمجهول زيادة في التشويق إلى استطلاع القصة، فإبهام المنادي يشوق سامع الآية إلى معرفته فإذا فاجأه إني أنا ربك علم أن المنادي هو الله تعالى، فتمكن في النفس كمال التمكن. ولأنه أدخل في تصوير تلك الحالة بأن موسى ناداه مناد غير معلوم له، فحكي نداؤه بالفعل المبني للمجهول. وبهذا النداء علم موسى أن الكلام موجه إليه من قبل الله تعالى لأنه كلام غير معتاد [3].

---

[1] ينظر: الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 8 / 552.

[2] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 203/16.

[3] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 195/16، 196.

ومن الآيات التي جاء بها النداء لموسى من الله تعالى الآيتين: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (طه:36)، لمَّا سأله شرح الصدر، وتيسير الأمر إلى ما ذكر، أجاب سؤله، وأتاه طلبته ومرغوبه. والسؤل الطلبة، فعل بمعنى مفعول [1].

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه: 40)، أي على قدرٍ قدَّرته؛ لأن أكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر، أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء[2].

ومن النداء نداء هارون لموسى في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه:94)، ونداء موسى للسامري في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ (طه: 95).

ثالثًا- الالتزاميات Commissifs (التعهدات، الوعديات):

هي الأفعال التي تدل على التزام المتكلم بإنجاز فعل ما في المستقبل (التعهد) مبنية على شرط الإخلاص، وهنا يجب المطابقة بين الواقع والكلمات، ويدخل فيها الوعد والوصية وما يدل على الالتزام[3]. وهي توافق الوعديات عند (أوستين).

وقد ظهرت التعهدات والالتزاميات في تعهد الله تعالى وإلزام نفسه بتحقيقها في المستقبل، ففي قوله تعالى:﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه : 15]، فالله سبحانه وتعالى يلزم نفسه ويتعهد أن لا أحد يعلم وقت قيام الساعة، فأمرها خاص به، وهي آتية لا ريب في ذلك، لكن علمها عنده معللًا ذلك لتجزى كل نفس بما عملت، وجاء الإلزام عن طريق الفعل المضارع(أخفيها).

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه : 21]، يتبين من سياق الآية خوف موسى مما حصل من معجزات، ولهذا تعهد الله تعالى من إعادة كل شيء إلى ما كان عليه بقوله: سنعيدها سيرتها الأولى وهو إعادتها عصا كما كانت قبل. وفي (سنعيد) التزام من الله تعالى بصيغة المضارع الدال على الجمع لإعادة العصا إلى ما كانت عليه.

ويتغير الخطاب الحواري في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه : 36]، ليكون من الله تعالى لموسى، وفيه يظهر إكرام الله لموسى في تحقيق ما طلبه في بناء الفعل

[1] - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 11/ 195.

[2] - ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل ، تحقيق: عبدالقادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، 1996م- 1416ه، 4/ 28.

[3] - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 50. وينظر: كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005، 177، وينظر: جاك موشلر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، 67.

للمجهول، قد أوتيت سؤلك يا موسى وعد له بالإجابة، وتصديق له فيما توسمه من المصالح فيما سأله لنفسه ولأخيه[1].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه : 46]، خطاب على لسان الله تعالى والمراد لا تخافا مما عرض في قلبكما من الإفراط والطغيان؛ لأن ذلك هو المفهوم من الكلام يبين ذلك أنه تعالى لم يؤمنهما من الرد ولا من التكذيب بالآيات ومعارضة السحرة . أما قوله: (إنني معكما) فيدل على الحراسة والحفظ وعلى هذا الوجه، يقال: الله معك على وجه الدعاء وأكد ذلك بقوله: أسمع وأرى [2]. فالله يتوجه بالالتزام والتعهد بطمأنة موسى وهارون – إكرامًا لهما- بصيغة المضارع في الفعلين (أسمع وأرى)، وفي هذا إفادة تبين وجود الله وملازمته لهما فهو معهما يسمع ويرى.

ويستمر الخطاب الرباني في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه : 47]، لبيان سبب ذهاب موسى وهارون لفرعون؛ ليرسل معهما بني إسرائيل ولا يعذبهم، ولديهما الآية التي تدل على أنهما رسولان، وإن في ذلك سلامة لمن اهتدى، ومن السياق يظهر الترغيب في الدعوة إلى الله تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه : 48]، ترهيب لمن كذب وتجبر، وهذا أسلوب من أساليب الدعاة الإقران بين الترغيب والترهيب.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾ [طه : 71]، لقد انبهر السحرة ممّا رأوه من موسى عليه السلام، وأعلنوا إيمانهم باللّه وحده لا شريك له، وهو ما لم يعجب الطاغية فرعون فتوجّه إليهم بالتّهديد والوعيد، ومقصد فرعون من هذا إقناع الحاضرين بأن موسى لم يأت بما يعجز السحرة إدخالًا للشك على نفوس الذين شاهدوا الآيات. ومعنى قبل أن آذن لكم قبل أن أسوغ لكم أن تؤمنوا به [3].

رابعًا- التعبيريات Expressifs (المعبرات):

هي التعبير عن الحالة النفسية للمتكلم، أي التعبير عن المشاعر تجاه الواقع، وشرط هذه الحالة النفسية هو عقد النيّة والصدق في محتوى الخطاب بعيدًا عن توافر شرط الإخلاص، وليس لهذه الأفعال اتجاه مطابقة، فلا يحاول المتكلم أن يجعل الكلمات مطابقة للواقع، ولا

[1] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 214/16.

[2] - ينظر: الفخر الرازي: محمد فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، (ت 606هـ) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب، قدم له الشيخ محي الدين المَيْس ، دار الفكر، بيروت، 1993م /1414هـ،54/22.

[3] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير،16/ 264، 265.

الواقع مطابقًا للكلمات، ومن أمثلتها: الاعتذار والشكر والتهنئة والمواساة[1]، والملاحظ أنّ التعبيريات توافق إجمالًا السلوكيات في تصنيف (أوستين).

وقد جاءت في هذه القصة في قوله تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: 21]، نلحظ في الآية إبعاد الخوف عن موسى، لما أراد الله تعالى أن يدربه في تلقي النبوة وتكاليفها أمره بإلقاء العصا في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى، قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى، وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى، لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ (طه:19-23) قلب الله أوصافها وأعراضها. فصارت حية تسعى أي تنتقل، وتمشي وتلتقم الحجارة فلما رآها موسى عليه السلام دخل نفسه الخوف. فقال الله له:" خذها ولا تخف " فأخذها بيده فصارت عصا كما كانت أول مرة وهي سيرتها الأولى، وإنما أظهر له هذه الآية لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون[2].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾ [طه : 45]، يتغير الخطاب الرباني الحواري بين الله تعالى وموسى، فيحاور موسى ربه مظهرًا له الخوف من طغيان فرعون وإفراطه في قوله تعالى: إننا نخاف تعبير عن الحالة النفسية لموسى وما يرافقها من خوف لما هو معروف عن طغيان فرعون. والمعنى: نخاف أن يعجل بعقابنا بالقتل أو غيره من العقوبات قبل أن نبلغه ونحجه. أي نخاف أن يخامره كبره فيعد ذكرنا إلهًا دونه تنقيصًا له وطعنًا في دعواه الإلهية فيطغى، أي يصدر منه ما هو أثر الكبر من التحقير والإهانة. فذكر الطغيان بعد الفرط إشارة إلى أنهما لا يطيقان ذلك[3]".

ويظهر توجس موسى في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ [طه : 67]، الإيجاس استشعار الخوف أي وجد في نفسه خوفًا، [4]خاف موسى من أن يظهر أمر السحرة فيساوي ما يظهر على يديه من انقلاب عصاه ثعبانًا، لأنه يكون قد ساواهم في عملهم ويكونون قد فاقوه بالكثرة، أو خشي أن يكون الله أراد استدراج السحرة مدة فيملي لهم بظهور غلبهم عليه ومده لما تكون له العاقبة فخشي ذلك. وهذا مقام الخوف[5].

وفي قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه : 44]، أمرهما الله تعالى بالتوجه لدعوة فرعون بالرفق بالقول اللين لما لها من أثر نفسي إيجابي على القلب. "والقول اللين: الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم

---

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 50. وينظر: فليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، اللاذقية، 2007م، 66. وينظر: جاك موشلر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، 66 .

[2]- ينظر: القرطبي، جامع الأحكام، 190/11.

[3] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 227/16.

[4] - ينظر: تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، 73، 22/74.

[5] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 259/16.

للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله، بل النصح والإرشاد باللين[1]".

ويبرر موسى عليه السلام على تعجله، في قوله تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه : 84]، جوابًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه : 83]، وهو إشارة إلى ما وقع لهم أيام مناجاة موسى في الطور في الشهر الثالث لخروجهم من مصر، وفيه لوم وعتاب وإنكار من الله تعالى لموسى لعجلته وترك قومه وعبادتهم العجل. والإعجال: جعل الشيء عاجلًا. والاستفهام مستعمل في اللوم [2].

وفي قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ [طه : 86]، ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: 90]، الغضب: انفعال للنفس وهيجان ينشأ عن إدراك ما يسوؤها ويسخطها دون خوف، والوصف منه غضبان. والأسف: انفعال للنفس ينشأ من إدراك ما يحزنها وما تكرهه مع انكسار الخاطر. وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى؛ لأنه يسوؤه وقوع ذلك في أمته وهو لا يخافهم، فانفعاله المتعلق بحالهم غضب، وهو أيضا يحزنه وقوع ذلك وهو في مناجاة الله تعالى التي كان يأمل أن تكون سبب رضى الله عن قومه فإذا بهم أتوا بما لا يرضي الله فقد انكسر خاطره بين يديه ربه[3].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: 94]. وقوله ابن أم نداء لقصد الترقيق والاستشفاع والاستعطاف. وهو مؤذن بأن موسى حين وبَّخه أخذ بشعر لحية هارون، ويشعر بأنه يجذبه إليه ليلطمه، وقد صرح به في الأعراف بقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (150)، وعطف الرأس على اللحية؛ لأن أخذه من لحيته أشد ألمًا وأنكى في الإذلال. وابن الأم: الأخ. وعدل عن (يا أخي) إلى (ابن أم) لأن ذكر الأم تذكير بأقوى أواصر الأخوة، وهي آصرة الولادة من بطن واحد والرضاع من لبان واحد[4].

خامسًا-التصريحيات Declarations (المعلنات الإعلانيات):

هي الأفعال التي تحدث تغييرات فورية في الواقع بعد الكلام، وهدفها جعل العالم يطابق الكلمات، والكلمات تطابق العالم، ولا تحتاج لشرط الإخلاص[5]، مثل: أعلن، أصرح، أحكم ...

---

[1] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 225/16.
[2] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 277/16.
[3] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 16/ 281، 282.
[4] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 292/16.
[5] - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 50. وينظر: جاك موشلر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، 67.

جاء الإعلان والتصريح في آيات منها إعلان موسى لكفر فرعون في قوله تعالى: ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى، إعلان لكفر فرعون وعدم إيمانه وتصديقه لدعوة موسى وأخيه رغم كل الآيات التي أتيا بها موسى وهارون. أي المعجزات الدالة على نبوة موسى فلم يؤمن. وهذا يدل على أنه كفر وعنادًا؛ لأنه رأى الآيات عيانا لا خبرا. فكان الرد من فرعون: (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى)، لما رأى الآيات التي أتاه بها موسى قال: إنها سحر، والمعنى: جئت لتوهم الناس أنك جئت بآية توجب اتباعك والإيمان بك، حتى تغلب على أرضنا وعلينا. (فلنأتينك بسحر مثله) أي لنعارضنك[1].

توجه موسى لسحرة فرعون في البدء في إلقاء الحبال والعصي، في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: 66]، وهنا تصريح بأن السحر الذي ألقوه كان بتخييل أن حبالهم وعصيهم ثعابين تسعى لأنها لا يشبهها في شكلها من أنواع الحيوان سوى الحيات والثعابين[2].

ومن التصريحيات إعلان السحرة إيمانهم في قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 70]، يتضمن سياق الآية الكريمة إعلان السّحرة إيمانهم بربّ العزة وسجودهم له، وتأكيدهم على اتباع دعوة موسى وهارون عليهما السلام، وبالتالي خروجهم عن زمرة الكفر (فرعون واتباعه).

جاء ذلك بعد أن عرفوا أن سحرهم قد أبطل فتوجهوا إلى الإيمان بالله معلنين ذلك، وهو أمر يمتلكونه ويقررونه؛ لأنه خاص بهم وبملكهم. وحين قالوا ذلك فقد تحقق مباشرة في العالم الخارجي بعد أن كانوا على الكفر، فإن سجودهم كان إعلانا باعترافهم أن موسى مرسل من الله. ويجوز أن يكون سجودهم تعظيما لله تعالى[3].

وبعد تصريح السحرة بالإيمان جاء تصريح فرعون معلنًا معاقبتهما في قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾ [طه : 71]، قال آمنتم له أي لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع. قبل أن آذن لكم في الإيمان له. إنه لكبيركم لعظيمكم في فنكم وأعلمكم به أو لأستاذكم الذي علمكم السحر وأنتم تواطأتم على ما فعلتم. فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولأصلبنكم في جذوع النخل[4].

[1] - ينظر: القرطبي، جامع الأحكام، 211/11.
[2] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 258/16.
[3] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 261/16.
[4] - ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، 33/4.

المبحث الثاني

الأفعال الكلامية وقوتها الإنجازية

"إن الفعل الكلامي قد يتصف بالإنجازية والتأثيرية وقد تتعدد وظائفه فيكون لمنطوق واحد معنى دلالي(إقرار) ومعنى تداولي (استنكار) في وقت واحد[1]". ويقصد بتأثيرية الفعل الإنجازي الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب أو السامع أو القارئ، أكان هذا التأثير مباشرًا - كما في الأحاديث اليومية- أو غير مباشر، وكذا أكان تأثيريًّا جسديًّا، أو استجابة شعورية أو فكرية.

وسنحاول في هذا السياق تتبع القوة الإنجازية وقوتها التأثيرية في آيات من سورة طه التي تناولت قصة كليم الله موسى عندما قص الله تعالى هذه القصة لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لتسليته والتخفيف عليه من أعباء الرسالة وما سيواجهه من مصاعب.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 9-14].

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه : 9]، تمثل هذه الآية فعلًا كلاميًّا، محتواه القضوي هو التأسي في الصبر على تحمل أعباء الرسالة ومقاساة المصاعب، وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بأن الذين كذبوه سيكون جزاؤهم جزاء من سلفهم من المكذبين، والقوة الإنجازية له مباشرة تظهر من الاستفهام المستعمل في التشويق إلى الخبر مجازًا وليس حقيقة، ومؤشره الابتداء بحرف الاستفهام (هل)، وآثر الحرف (هل) في هذا المقام لما فيه من معنى التحقيق؛ لأن (هل) في الاستفهام مثل (قد) في الإخبار[2]. قال أهل المعاني: هو استفهام وإثبات وإيجاب معناه، أليس قد أتاك؟ وقيل: معناه وقد أتاك، قاله ابن عباس[3]. والقوة التأثيرية للفعل التسلية وزيادة التشويق للرسول صلى الله عليه وسلم، وتنبيهه للإصغاء لما سينزل عليه ويخاطب به من وحي. وهذا تقرير يحث على الإصغاء لما يلقى إليه وعلى التأسي[4].

بعد تشويق الله تعالى لنبيه موسى عن طريق السؤال بإخباره عن قصة موسى بعد عودته من مدين وهو في الطريق وما حصل من أحداث مستهلًا بقوله تعالى: ﴿ إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى

[1] - محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، مجلة فصول، عدد65. 2004م.
[2] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 193/16.
[3] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 11/ 171.
[4] - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، 314/7.

مجلة آداب الحديدة - العدد الرابع عشر (يوليو – سبتمبر 2022م) كلية الآداب - جامعة الحديدة
http://al-adab-journal.com ISSN:2710-1312 (Online) ISSN:2710-1304 (Print)

﴾[طه : 10]، في هذه الآية زيادة في تشويق النبي عليه الصلاة والسلام إلى استطلاع المزيد من أحداث قصة موسى، والأفعال الكلامية، هي: (رأى، فقال، امكثوا، أنست، آتيكم، أجد)، ويتضح من خلال السياق أن محتواها اقتضاء بلفت انتباه النبي عليه الصلاة والسلام وشد سمعه عن طريق عنصر التشويق، تتعدد القوى الإنجازية لهذه الأفعال، فمنها الأمر الصريح المباشر بواسطة الفعل (امكثوا)، والرجاء عن طريق أداة الترجي(لعل)، والقوة التأثيرية لهذه الأفعال هو زيادة تشويق النبي عليه الصلاة والسلام لسماع بقية القصة، وهداية موسى عليه السلام وأهله إلى الطريق.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ [طه : 11]، تمثل هذه الآية فعلًا كلاميًّا بني فيه فعل النداء (نُودِيَ) للمجهول، محتواه القضوي زيادة تشويق النبي عليه الصلاة والسلام لمعرفة المزيد من أحداث القصة، والقوة الإنجازية للفعل مباشرة تتمثل في النداء عن طريق المؤشر (يا)، وفيه إكرام من الله تعالى لموسى عليه السلام؛ لحظوته في مناداة الخالق من غير واسطة، والقوة التأثيرية للفعل يتضح من خلال الآية الكريمة وهو زيادة تشويق الرسول صلى الله عليه وسلم.

﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه : 12]، في هذه الآية يتغير الخطاب القرآني من الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام، عن طريق الفعل الكلامي المباشر (فاخلع)، والمحتوى القضوي بالرجوع إلى السياق يتجلى في إكرام موسى عليه السلام وتحبيبه ودنوه من الله تعالى، والقوة الإنجازية له مباشرة متمثلة بصيغة الأمر الصريح، وهو أمر حقيقي من الله إلى موسى، والقوة التأثيرية له التقريب والتحبب والتعظيم.

بعد أن عرَّف الله نفسه لموسى بأنه ربَّه بيَّن أنَّه اختاره دون غيره للدعوة: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه : 13]، (فاستمع) فعل كلامي مباشر، كما يفهم من السياق الغرض منه الاستعداد لتلقي الوحي الذي سينزل عليه من الله تعالى، ومحتواه القضوي توجيه موسى عليه السلام إلى الاستماع، والابتعاد عن الانشغال بأي أمر آخر يلهيه عن تلقي الاستماع، والقوة الإنجازية هنا للفعل مباشرة، تتضح من صيغة الأمر الصريح (فاستمع)، وهو أمر حقيقي قوته التأثيرية التفرغ لتلقي الوحي من الله عز وجل الذي اصطفاه دون غيره لنبوة بني إسرائيل[1].

ويستمر تعريف الله نفسه بالإلوهية بقوله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14]، في قوله تعالى فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فعل الكلام المباشر (فاعبدني وأقم)، وبالنظر إلى سياق الآية الكريمة نجد فعلًا كلاميًّا غير مباشر يتجلى في تقرير توحيد الله عز وجل، ومحتواه القضوي يكمن في توحيد الله وإخلاص العبادة له، والقوة الإنجازية له

[1] - ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل،24/4.

مباشرة تتمثل في الأمر(فاعبدني وأقم) وهو أمر حقيقي صريح، وقوته التأثيرية إفراد الله وحده بالعبادة عن طريق الأمر بالطاعة والاستجابة لما قيل[1].

بعد أن بيَّن الله تعالى لموسى وجوب عبادته وإقامة الصلاة والتعهد بالذكر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾[طه: 15] ، ليبين أن هناك جزاءً من الله، فكل نفس ستجزى بما عملت عند قيام الساعة، والأفعال الكلامية الواردة في هذه الآية(أكاد، لتجزى، تسعى)، ويتجلى من السياق أن محتواها القضوي يكمن في اقتضاء قرب قيام الساعة، والقوة الإنجازية غير مباشرة تتمثل في تذكير الناس بقيام الساعة وحصول الجزاء على الأعمال الدنيوية، وقوتها التأثيرية إثبات الجزاء، بقدوم الساعة، وعرض الأعمال لتجزى كل نفس بعملها.

بعد أن ذكَّر الله بالساعة نهى مباشرة عن التكذيب بها، في قوله تعالى:﴿ فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه : 16]، في هذه الآية ينهى الله تعالى نبيه موسى من الصد عن الإيمان بالساعة، ويتصدر النهي الفعل الكلامي في هذه الآية، ومن الأفعال الكلامية في الآية (يؤمن، اتبع، فتردى)، والمحتوى القضوي لها يتبين في سوء الجزاء لكل من أعرض عن الإيمان بالساعة، والنهي لموسى عليه السلام ولمن جاء بعده عن الكفر بها، وقوتها الإنجازية مباشرة تتجلى في النهي بواسطة مؤشر حرف النهي (لا)، والقوة التأثيرية النهي عن أدنى شيء يحول بين (موسى)، وبين الإيمان بالساعة[2].

يستمر الخطاب الرباني من الله تعالى لموسى عن طريق الحوار، وإظهار المعجزات التي أيده الله بها لتثبيته، فيقول تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى، قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى، قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى، وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى، لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه: 17 - 23].

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه : 17]، فعل كلامي غير مباشر يتجلى من سياق الآية، محتواه القضوي تنبيه موسى عليه السلام للاستماع لما سينزل عليه، قوته الإنجازية مباشرة وهي الاستفهام، ومؤشره اسم الاستفهام(ما)، والقوة التأثيرية للفعل تقرير مضمنه التنبيه، وجمع النفس لما يورد عليها[3].

يأتي رد موسى على سؤال الله تعالى عن العصا في قوله:﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ [طه : 18] ، يستطرد موسى في الرد على الله تعالى؛ لأن المقام

[1] - ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل،24/4.
[2] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 203/16.
[3] - ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، 321/7.

مقام تشريف، ويظهر هذا عن طريق الأفعال الكلامية في هذه الآية (قال، أتوكأ، أهش)، وهي أفعال كلامية مباشرة، يتجلى محتواها القضوي من خلال السياق في التعجب من الاستفهام، والقوة الإنجازية لها غير مباشرة متضمنة الإجابة عن السؤال المراد الإجابة عنه، وقوتها التأثيرية التعجب من الاستفهام.

يأمر الله عز وجل ويوجه موسى بإلقاء العصا، بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾ [طه : 19]، والفعل الكلامي في هذه الآية مباشر في صيغة الأمر الصريح(ألقها)، يقضي بتوجيه موسى لهذا الأمر، والقوة الإنجازية له هي أمر الإلقاء، والقوة التأثيرية له إكرام الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام. ويتبين تحقيق الأمر الإلهي من قبل موسى في قوله تعالى:﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[طه : 20]، وعند الإلقاء يظهر المراد من السؤال المتقدم من الله تعالى وبيان شأن العصا، يظهر ذلك من الفعل الكلامي(فألقاها، تسعى)، ومن سياق الآية يتجلى أن المحتوى القضوي لهذا الفعل الكلامي هو إظهار قدرة الله تعالى على تأييد نبيه موسى بالمعجزات، وقوته الإنجازية غير مباشرة، وهي تنفيذ موسى أمر الله تعالى، والقوة التأثيرية إظهار قدرة الله جل في علاه على قلب العصا حية تمشي.

لما انقلبت العصا حية تسعى، جاءت الطمأنة من الله تعالى بإعادتها إلى ما كانت عليه، قال تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه : 21]، تتعدد الأفعال الكلامية في الآية(قال، خذها، لا تخف، سنعيدها)، وهي أفعال مباشرة وبالاعتماد على سياق الآية يبدو لنا توجيه الله تعالى لموسى إلى استحضار المعجزة في وقتها المناسب، والمحتوى القضوي لهذه الأفعال الطمأنة لموسى وإعادة العصا إلى ما كانت عليه. وقد تنوعت القوى الإنجازية المباشرة في الآية: في الأمر الصريح (خذها)، والنهي الذي مؤشره (لا)الناهية، والقوة التأثيرية تخفيف وتهدئة موسى عليه السلام مما شاهده في أمر العصا. يتوالى أمر المعجزات من الله تعالى لموسى بتأييده بمعجزة أخرى في قوله تعالى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى، لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه : 22]، وهنا نلحظ الفعل الكلامي(اضمم، تخرج)، وهو فعل كلامي مباشر، والمحتوى القضوي له تأييد الله تعالى لنبيه موسى، والقوة الإنجازية مباشرة في الأمر الحقيقي(اضمم)، وقوتها التأثيرية بيان قدرة الله في هذه المعجزات. ويستمر الله تعالى في مخاطبة نبيه موسى بقوله:﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه : 23]، وبهذا رأى موسى هذه الآيات، وفي الآية فعل كلامي مباشر هو(لنريك)، والمحتوى القضوي له تقرير قدرة الله تعالى وعظمته، والقوى الإنجازية له غير مباشرة تفهم من السياق تتجلى في بيان الآيات والمعجزات العظيمة التي أيد بها الله نبيه موسى، والتي ليس بمقدور كائن من كان أن يأتي بها، والقوة

التأثيرية تأييد وتذكير موسى بها، وقدرة الله أي آياته القوية الدلالة على قدرته و إرساله إلى فرعون [1].

بعد أن أرى الله نبيه موسى الآيات، جاء الأمر بتوجيهه بالدعوة للطاغية فرعون في قوله تعالى:﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه : 24]، والفعل الكلامي في الآية (اذهب، طغى)، وهو مباشر، والمحتوى القضوي له الامر بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى الحق، وترك ما هو عليه من كفر وضلال، والقوة الإنجازية مباشرة عن طريق الأمر الصريح(اذهب)، وتتجلى القوة التأثيرية له بالنظر إلى خطاب الله تعالى بقيام موسى بالنصح والإرشاد لفرعون "إبلاغ ما أمر الله بإبلاغه إليه من تغييره عما هو عليه من عبادة غير الله"[2].

وبهذا الأمر والتكليف من الله تعالى، طلب موسى العون من الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه :25- 32]، تغير الخطاب الرباني من الله إلى مخاطبة موسى لربه وطلب منه العون على الدعوة، ويتضح هذا عن طريق الأفعال الكلامية التي أتت بصيغة الأمر الصريح لإفادة الطلب، محتواها القضوي دعاء موسى وإعانته على تبليغ الدعوة، فالأمر فيها ليس على الحقيقة؛ لأنه من الأدنى إلى الأعلى وقوتها الإنجازية مباشرة عن طريق الأمر الصريح، ومؤشره الأفعال(اشرح، يسر، احلل، اجعل، اشدد، أشركه)، وقوتها التأثيرية طلب التيسير والمعونة من الله تعالى والقوة لتبليغ الدعوة عن طريق هارون أخيه، أن يجعله معينًا له في أعماله، وسأله أن يأذن له بأن يكون شريكًا له في أمره، أي أمر رسالته[3].

ولأن الله تعالى قد آتى موسى ما سأله ومن ذلك إشراك أخيه هارون معه في أمر الدعوة، جاء الأمر بالذهاب لموسى وهارون في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي، اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:42- 44]، والآيات السابقة تمثل أفعالًا كلامية، هي: (اذهب، لا تنيا ، اذهبا، فقولا)، وهي أفعال مباشرة يتضح محتواها القضوي من السياق في توجيه الدعوة إلى فرعون للإيمان، وتتنوع القوى الإنجازية لهذه الأفعال منها الأمر عن طريق أفعال الأمر السابقة، والنهي الذي مؤشره (لا)، وتأثيرية هذه الأفعال يكمن في ترغيب فرعون إلى طاعة الله وعدم الكفر به [4].

بعد تكليف موسى وهارون بدعوة فرعون يظهر جليًّا تخوفهما من طغيان فرعون، في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ﴾ [طه:45]، تمثل الآية السابقة أفعالًا كلامية مباشرة هي: (قالا، نخاف، يفرط، يطغى)، ومحتواها القضوي الاعتراف بالخوف من

[1] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 209/16.
[2] - ابن عاشور، التحرير والتنوير، 210/16.
[3] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 209/16.
[4] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 224/16.

طغيان فرعون، وقوتها الإنجازية غير مباشرة تفهم من السياق، وهي إبراز ضعفهما وعدم قدرتهما على شيء من غير معونة الله لهما، وتكمن قوتها التأثيرية في الاعتراف بالضعف والخوف من فرعون، ومن رسوخ عقيدة الكفر في نفسه وطغيانه على الناس [1].

وعند إظهار الخوف أتت الطمأنة الربانية من الله تعالى مخاطبًا موسى وهارون، في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه : 46]، والأفعال الكلامية في هذه الآية (لا تخافا، أسمع، أرى)، أفعال مباشرة كما يتضح من سياق الآية، ومحتواها القضوي رعاية وحماية الله لهما على الدوام، فقوله: (إنني معكما) "فهو عبارة عن الحراسة والحفظ [2]". والقوة الإنجازية تتبين في النهي (لا تخافا) ومؤشره لا الناهية، والقوة التاثيرية إثبات المعية من الله لهما في جميع الأحوال.

يستمر الخطاب الإلهي في بيان سبب ذهاب موسى وهارون لفرعون أنهما مأموران من الله ليرسل معهما بني إسرائيل ولا يعذبهم، في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه : 47]، وفي هذه الآية أفعال كلامية مباشرة، هي:(فأتياه، فقولا، فأرسل، لا تعذبهم، جئناك، اتّبع)، وبالاعتماد على سياق الآية الكريمة يتضح أن محتواها القضوي الذهاب إلى فرعون ونهيه عن ظلمه لبني إسرائيل ودعوته إلى عبادة الله وحده، والقوة الإنجازية تسريح بني إسرائيل؛ لما كانوا يلاقونه من عذاب بالقتل أو الاستعباد والإذلال، ويفهم ذلك من الأمر الصريح المباشر، (فأرسل)، والنهي(لا تعذبهم)، والذي مؤشره (لا)الناهية، والقوة التأثيرية تتمثل في نصح وتوجيه فرعون إلى طريق الحق.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه : 48]، في هذه الآية الكريمة نجد أن الأفعال الكلامية (أوحي، كذّب، تولّى) كما يفهم من سياق الآية مباشرة، والمحتوى القضوي لها التحذير من العذاب لكل من استمر في كفره وطغيانه، قوتها الإنجازية غير مباشرة تتمثل في بيان سوء الجزاء والعقاب للكافرين، وقوتها التأثيرية تهديد وتحذير فرعون من عذاب الله إذا ما استمرّ في كفره وظلمه.

وإجمالًا في الآية إشارة إلى أنّ" جزاء من كذَّب أنبياء الله وأعرض عن الإيمان بالله وحده هو الهلاك في الدنيا، والخلود في جهنم في الآخرة[3].

بعد دعوة موسى وهارون لفرعون يأتي رده وإجابة موسى له، في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى، قَالَ عِلْمُهَا

[1] - ينظر: ابن عاشور التحرير والتنوير، 227/16.
[2] - تفسير الرازي، مفاتيح الغيب،54/22.
[3] - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 70/14.

عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه : 49 -52]، يتغير الخطاب الرباني بطريقة الحوار بين موسى وأخيه لفرعون في هذه الآيات والافعال الكلامية فيها (قال، أعطى، هدى، لا يظل، لا ينسى) مباشرة، محتواها القضوي بيان قدرة الله على خلق وهداية وتكوين كل شيء في الحياة، وسعة علمه، والقوة الإنجازية مباشرة تتمثل في الاستفهام الذي مؤشره (من، ما)، والنفي الذي مؤشره (لا) وقوتها التأثيرية التشعيب والتعجيز لموسى عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ [طه : 56]، في هذه الآية أفعال كلامية، هي: (أريناه، كذّب، أبى) مباشرة، محتواها القضوي بيان كفر فرعون وعدم إيمانه برغم ما قدم له من آيات تدل على وحدانية الخالق، قوتها التأثيرية التعجب من تصلُّب فرعون في عناده، فبالرغم من أنّ موسى عليه السلام " أراه الآيات التي بُعث بها وعدّدها عليه، فلا يُدّعى أنه أراد بالآيات آيات مخصوصة، فـ(كل) هنا تأكيد على إرادة العموم، وهذا يتمشّى أن الرؤية قلبية، ويُراد بالآيات ما يدل على وحدانية الله وصدق المبلّغ، "وقد استمر فرعون في التشعيب على موسى عليه السلام بتحقير الآيات التي جاء بها والكفر بها، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى، فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَاناً سُوًى ﴾ [طه: 57- 58]، أرادوا من هذا إثارة حمية بعضهم غيرة على عوائدهم، فإن لكل أمة غيرة على عوائدها وشرائعها وأخلاقها[1]. والأفعال الكلامية في الآيتين، هي: (أجئتنا، لتخرجنا، فلأتينّك، فاجعل، لا نخلفه) مباشرة، محتواها القضوي تحقير موسى ووعيده بالإتيان بمثل سحره والتغلب عليه، والقوة الإنجازية تتمثل في الاستفهام الإنكاري من المتكلم فرعون إلى موسى عليه السلام[2]؛ ومؤشره الهمزة الاستفهامية، والأمر الصريح (فاجعل) والقوة التأثيرية تهديد ووعيد موسى وتحدّيه، والاستهانة بما جاء به؛ كل هذا بغرض إزالة ما في نفوس الناس من تصديق لموسى ومحاولة القضاء عليه.

أهم النتائج:

- تنوعت الأفعال الكلامية في قصة موسى الواردة في سورة طه واختلفت أصنافها، إذ جمعت بين الخبر والإنشاء و بين المباشرة وغير المباشرة منها.
- اشتملت قصة موسى على الأصناف الكلامية من: إخباريات، وتوجيهيات، والتزاميات، وتعبيريات وإعلانيات.
- كانت الأفعال الإنجازية أكثر حضورًا من الأفعال الإخبارية.
- شاعت التوجيهيات بكثرة في السورة ، وكانت الطلبيات أكثر حضورًا.
- غلبت الأفعال الكلامية المباشرة، لتناسب ذلك مع الخطاب القرآني الذي يهدف إلى التكاليف في هذه السورة.

[1] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 225/16.
[2] - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 245/16.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- القرآن الكريم.

ثانياً- المصادر والمراجع:

ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد): التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان،ط،1، 1420هـ/2000م.

أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف) : البحر المحيط ، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض . شارك في تح: زكريا عبدالمجيد النوتي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ- 1993م .

الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة عبدالقادر قنيني ، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط.

البيضاوي: تفسير البيضاوي، تحقيق: عبدالقادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، 1996م- 1416هـ.

جاك موشلر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة بإشراف عزالدين المجذوب، مراجعة خالد ميلاد تونس المركز الوطني للترجمة دار سناتر، 2010م.

جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006م.

رحيمة شيتر، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه في علوم الأدب، جامعة باتنة، 2008- 2009.

سيرفوني، الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب،1998.

عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد.

فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش،مركز إنماء القومي، المغرب، د.ت.

فليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، اللاذقية، 2007م.

القرطبي(أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1966م.

كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005.

محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، مجلة فصول، عدد65. 2004م.

محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002م.